لقد مرأت على الأمة فترات عصيبة أغلق فيها باب الاجتهاد لأسباب عديدة، ورغم ذلك فإننا لا ندعو إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، لكل من تسول له نفسه وبدون ضوابط فالشرائط التي ينبغي توفرها في المجتهد ولا نريد أن نوصد الأبواب أمام من يملك أن يجتهد بمفرده بالضوابط المذكورة، ونحن نريد الموقف الوسط والمتزن حتى يتم تجديد الخطاب الديني بالوسائل والآليات المفيدة والتي ورثتها الأمة كابرًا عن كابر، عبر القرون الماضية[1].

ثامنا: مشكلات في طريق التجديد: (التحديات الداخلية)

ليس من نافلة أن هناك مشكلات كثيرة تعترض التجديد في واقعنا المعاصر ويمكننا أن نشير إلى بعضها:

1- المغالطة في المفاهيم:

من أصعب الأمور أن يعيش المرء أسير أفكار ووساوس وظنون يعتقد أنها الأصوب في الفهم والتطبيق، فهناك الحواجز النفسية بين المفاهيم الإسلامية الصحيحة وبين ما يعيشه المسلم المعاصر، مثل مفهوم الحرية أو الديمقراطية أو عمل المرأة ومكانتها في المجتمع الإسلامي.

فهناك مفاهيم مغلوطة عند شريحة كبيرة من المجتمع الإسلامي.

2- الجمود في فهم النص التراثي:

لقد ترك الأقدمون تراثًا علميًا وحضاريًّا فذًا، ومن ثم ينبغي علينا أن نقرأ

(1) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده.

النص في ضوء تحديات ومستجدات العصر، لا أن نعيش بفكر القرون الماضية، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 134] وليس معنى ذلك رفض التراث جملة وتفصيلًا، كلا وألف كلا فهذا لم نقصده أبدًا من طرحنا، إنما نأخذ من تراثنا الحضاري ما يلائم معطيات العصر وتحدياته بطريقة متوازنة تجمع بين الأصيل والمعاصر.

3- البعد عن الغلو والتطرف:

الغلو والتطرف هو مجاوزة الحد المعقول والمقبول ومن ثم فإن من أخطر المشكلات التي تواجه تجديد الخطاب الديني التطرف أو الغلو، مثل مشكلة التكفير عند الفقهاء المعاصرين، يقول الشيخ محمد سيد طنطاوي - رحمه الله - (شيخ الأزهر السابق) في هذا الصدد وبإجابته على التساؤل وهو: (هل يجوز أن تعتبر المذاهب التي ليست من الإسلام السني جزءًا من الإسلام؟ أو بمعنى آخر هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية - يعني المذاهب السنية الأربع، والمذهب الظاهري والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والإباضي، يجوز أن يعد مسلمًا؟)

قال: أصحاب هذه المذاهب - فيما نعلم من ظواهر أحوالهم - كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويعترفون بالأركان الخمس ويؤدونها، وإذا وجد خلاف بينهم في أداء هذه الأركان فهو خلاف في الفروع لا في الأركان والأصول، وبذلك لا نستطيع أن نقول إن أصحاب هذه المذاهب غير مسلمين وشريعة الإسلام تأمر أتباعها أن يحكموا على الناس على حسب ظواهرهم أما بواطنهم فالله تعالى وحده هو العليم بها[1].

(1) برقاني سيد جلال الدين: التعددية المذهبية في الإسلام آراء العلماء فيها، ص102.

وفي هذا الصدد يذهب الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عُمان بقوله: إن الإسلام دين تمثل فيه المعتقدات الحقة التي تنطوي عليها إجمالًا الشهادتان، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويحدها تطبيق الإسلام في الحياة العملية بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، فكل من أتى بالشهادتين ولم ينقضهما بإنكار ما علم من الدين بالضرورة فإنه يُعد مسلمًا، وممارسته للأركان العملية المذكورة تُعد تطبيقًا لتعاليم الإسلام سواء أكان على أي مذهب من المذاهب التي تنتمي إلى هذا الدين، فلا يُعد مشركًا ولا كافر ملة، ولا تمنع مناكحته ولا موارثته، وله من الحقوق ما لعامة المسلمين في حياته وبعد وفاته: كالتسليم عليه ورد السلام.. وكف الأذى عنه وصون دمه وماله وعرضه وعونه إن احتاج إلى العون بقدر الإمكان[1].

4- **الفهم الخاطئ للدين:**

لن نخش على الدين من أي منصف، و إنما الخوف من الفهم الخاطئ لصحيح الدين، وكما أخبرنا النبي ﷺ في الحديث ما رواه ابن جرير وتمام في فوائده وابن عديّ وغيرهم عن النبي ﷺ قال: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوًا له، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[2].

وكما أكد الحديث على التحذير من آفة الغلو في الدين، أو الإفتاء بغير فقه أو علم أو تحريف الكلم عن مواضعه - وللأسف - ظهر من بين ظهرانينا

(1) برقاني سيد جلال الدين: التعددية المذهبية في الإسلام آراء العلماء فيها، ص224.
(2) انظر ابن القيم في مفتاح السعادة وقواه لتعدد طرقه، 1/ 163.

مـن يدعو إلى تبديد الدين لا تجديد الدين وهذا يعود إلى الفهم الخاطئ الذي حذرنا منه النبي ﷺ.

وأذكر عندما كنـت في مدريد في صيف عام 2003م ذهب أحد الخطباء في إسـبانيا في عـرض قضيـة ضرب المـرأة وتأديبها بطريقة أثـارت الصحف الإسـبانية وعرضت الرجل للمحاسـبة ولأن الرجل لم يعـرف كيف يتعامل مـع الواقـع، وأن السـنة النبوية رفضت الـضرب في ذاتـه أو الضرب المبرح و إنما مجرد إشارة (بالسواك) كناية عن الغضب ولعل ما دفعه إلى هذا المسلك القراءة الخاطئة، والفهم القاصر لصحيح الدين، ومن ثم فإننا نعتقد أن الفهم الخاطئ للدين من العقبات التي تواجه تجديد الخطاب الديني.

5- فقه الدنيا والآخرة:

قـد لا أكـون مبالغًا إذا قلـت إن البعض يعتقد أن المقصـود بالاجتهاد في الأمور والقضايا الدينية وحسـب والتي تستلزم اجتهادًا، في حين أن الإسلام يحض المسـلم عـلى أن يجتهـد في أمور الدنيـا أيضًـا أو أن فقه سـنن الكون والآفاق، قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 20 - 21].

وفقه سـنن الكـون والآفاق من المهـام التي يجب أن نوجـه النظر إليها، فليـس دور الخطـاب الديني التذكرة بأمـور الآخرة وحسـب و إنما لا بد أن يجمع الخطاب الديني بـين الدنيا والآخرة، وهذه الدعوة فيما نعتقد تحتاج إلى عقل واعٍ يعرف المقاصد العليا للشريعة الإسـلامية فضًلا عن نظرة الإسلام المتوازنـة لكل الأمـور، فماذا نصنع في ظـل ثورة المعلومـات والبث المباشر

والأفكار التي تطل برأسها علينا بين الحين والآخر، هل سيظل منهجنا في الخطاب الديني هو هو منذ القدم؟، أم لابد أن نواكب العصر بمشكلاته وهمومه[1].

6- التخلي عن العصر ومشكلاته:

من الأخطاء الكبرى أن يتخلى الخطاب الديني عن العصر ومشكلاته وهمومه، فمشكلات الإنسان تؤرق الضمير الإسلامي في كل زمان ومكان، ومن ثم فإن مشكلات كبرى تشغل الإنسان الآن ولن تحل بمعزل عن الضمير العالمي ومن هنا تأتي أهمية تجديد الخطاب الديني وتفعيله في حياتنا المعاصرة مثل مشكلات البيئة على المستوى العالمي ومشكلات حقوق الإنسان على وجه الكرة الأرضية، أعتقد أن الخطاب الديني العاقل المتزن يمكن أن يسهم مساهمة فعالة في حل مثل هذه المشكلات التي تؤرق الضمير الإنساني المعاصر.

7- إساءة الظن بالمذاهب:

إساءة الظن بكل مذهب أو رأي أو اجتهاد يدعو إلى استخدام العقل، والتعويل عليه في استنباط الأحكام الفقهية وتقدير الأمور الدينية واعتبار هذا الاستخدام تهديدًا لقدسية الشريعة ومدخلًا لتحكم الهوى، وتمردًا على حكم الله الذي تقرره الآية القرآنية الكريمة سورة الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

(1) انظر د. جمال رجب سيدبي: تجديد الخطاب الديني في حياتنا المعاصرة منبر الإسلام، يناير 2004، ص980.

ويلخص أتباع هذا المنهج موقفهم من هذه القضية بقولهم الشريعة حاكمة لا محكومة وأن على المؤمنين بها أن يطبقوا أحكامها الكلية والجزئية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65][1].

هذه بطبيعة الحال بعض المشكلات أو العقبات التي تواجه تجديد الخطاب الديني وليس بخاف أن هناك مشكلات أخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، وحسبنا الإشارة إلى بعضها.

(1) د. أحمد عرفات القاضي: المرجع السابق ص56.